الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤–١٦؛
٥: ١–٦)

يا إخوةُ، إذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلْنَتمسَّكْ بالإعتراف* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيُر قادرٍ أن يرثيَ لأوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَة* فلنُقبِل إذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننال رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أوانها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعب* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ

الأحد الثالث من الصوم

منذ سقوط آدم وطرده من الفردوس، تسلَّطت الخطيئة على حياة الإنسان، وأصبح التغلّب عليها مستحيلًا ما لم يجاهد الإنسان ضدّها وهو متّحد بالرّبّ يسوع المسيح، أي بتسليمه حياته بالكامل والإلتصاق به. لذلك، وضعت كنيستنا المقدّسة الصليب المقدّس في وسط الصوم الكبير ليذكّرنا بهدف رحلتنا الروحيّة، وليكون لنا الصليب سلّمًا سماويّةً نرتفع بها إلى العلى مع المصلوب، قائمين معه من موتنا فنبلغ الملكوت السماويّ. يشدّدنا الصليب في حربنا غير المنظورة التي قال عنها الرسول بولس: «إنّ مُصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشرّ الروحيّة في السماويّات» (أف ٦: ١٢). لم تضع الكنيسة السجود للصليب الكريم في الأحد الثالث من الصوم عبثًا، إذ، مع اقتراب انتصاف الصوم، يكون بعض المؤمنين قد ملّوا من الجهاد وتعبوا. حتّى لا يترك أولئك هذه الرياضة، ولئلّا يقعوا في التجربة، ترفع الكنيسة الصليب أمام أعينهم، فيتقدّمون إلى السجود له ومعانقته، وبذا يتشدّدون ويؤكّدون أنّهم مصلوبون مع المسيح ومشتاقون إلى قيامته. عندما يقبّلون الصليب مرفوعًا على صينيّة ومحاطًا بالرياحين أو الزهور، يعطي الكاهن، في نهاية القدّاس الإلهيّ، كلًّا منهم زهرة ليتذكّروا أنّه بالصليب أتى الفرح إلى العالم، وهكذا يتشدّدون. الصليب هو مصدر خيرات: عند الصليب ماتت الخطيئة وعنده مات الموت. لم ينته الأمر على الصليب، بل تبعته القيامة. لم يعبر الرّبّ إلى القيامة إلاّ بالصليب. تألّم المسيح وتعذّب، لكنّ الخلاص أزهر من وسط العذاب ومن الصليب أزهر الفرح.

تقرأ الكنيسة اليوم المقطع الإنجيليّ (مر ٨: ٣٤ –٣٨، ٩: ١) حيث يقول الرّبّ: «من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني». إنّها دعوة إلى أن نتبع

العدد ١٠ / ٢٠١٨
الأحد ١١ آذار
الأحد الثالث من الصوم
(أحد السجود للصليب الكريم)
تذكار أبينا الجليل في القديسين
صفرونيوس القسطنطيني
اللحن السابع
إنجيل السَحَر السابع

الرّبّ يسوع في حياتنا اليوميّة، ونستوحي تعاليمه في كلّ ما نعمله، ونطيعه، وألّا نتبع سواه أو شهواتنا.

أن نكفر بأنفسنا يعني أن نترك حياة الخطيئة. لقد صارت الخطيئة، التي بواسطتها سقطنا، أمرًا طبيعيًّا بالنسبة إلينا، وأصبح التخلّي عنها نوعًا من التخلّي عن طبيعتنا. بات الإنسان يلتذّ بالخطيئة مغذّيًا إيّاها بشهواته وملذّاته. يأتي الرّبّ متصدّيًا لهذا الموت الأبديّ (الخطيئة) ومقدّمًا نفسَهُ على أنّهُ الحياة. يقول إنّ الذي يريد أن يخلّص نفسه وينمّي فيها حياة السقوط أو الخطيئة والرذيلة فإنّه سيخسرها، أمّا مَن خسر نفسهُ من أجل المسيح والإنجيل، مميتًا رغبات الخطيئة في ذاته، ومتخلّيًا عن لذّات الخطيئة، فإنّهُ سيربحها (مر ٨: ٣٥). يضيف الربّ: «وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسَهُ؟» (مر ٨: ٣٦). ما الفائدة التي سيجنيها الإنسان لو كسب كلّ العالم؟ كلّ مادّة أو ميراثٍ نملكه ما هو إلاّ أمانة بين أيدينا وسوف نقدّم عنها جزاءً إذا حافظنا عليها أو لا. لذلك يقول الرّبّ: «ماذا يعطي الإنسانُ فداءً عن نفسه؟» لا يستطيع الإنسان أن يستعيدَ نفسَه الهالكة عندما يميتُها الموت الأبديّ المتمثّل بالخطيئة.

كان الصليب أداة عقاب مذلّ للناس المحتقَرين والأسرى المحرومين من الحقوق المدنيّة. أن نحمل صليبنا يعني أن نحتمل بنُبْلِ السُّخرية والتجديف والأحزان والإضطهادات التي يغمر بها العالم أتباع المسيح. يعني أيضًا أن نحتمل، بشجاعةٍ، هموم هذا العالم مع العذاب والشهادة في جهادنا ضدّ شهواتنا وخطايانا، ضدّ أرواح الشرّ التي تثور علينا بغضبٍ وستقف ضدّنا بشدّةٍ عندما سنقرّر إسقاط نير الخطيئة من أنفسنا والخضوع لنير المسيح. كما يعني أن نسمح، بكلّ تواضعٍ وطاعةٍ، للعناية الإلهيّة، أن تطهّر خطايانا. عندئذٍ، يقودنا الصليب كسلّمٍ من الأرض إلى السماء. لقد ارتقى هذه السلّم اللّصُّ المذكور في الإنجيل عندما تلفّظ بالكلمات المملوءة حكمةً وتواضعًا. دخل اللّصّ إلى معرفة الله بالحكمة، واكتسب السموات بالمعرفة الإلهيّة. قال اللّصّ: «أمّا نحن فبعدل لأنّنا ننال استحقاق ما فعلنا... أذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك» (لو ٢٣: ٤١–٤٢)، وقال الرسول يعقوب في رسالته: «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنّه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرّبّ للّذين يحبّونه» (يع ١: ١٢). لقد طلب الرّبّ من كلّ مؤمن أن يقبل صليبه وينكر ذاته ويتبعه. الذي قَبِل صليبه وكَفَرَ بذاته، والذي تصالح مع ذاته ومع أحواله الخارجيّة والداخليّة، هو فقط الذي يمكنه أن يتبع المسيح بعقلانيّة واستقامة.

أن نتبع المسيح يعني أن يكون الإنجيل المُرشد الوحيد لعمل عقلنا وقلبنا وجسدنا. يعني هذا أن نأخذ منهج تفكيرنا من الإنجيل، ونبني شعورنا القلبيّ بحسب الإنجيل، وأن تكون كُلّ تصرّفاتنا وتحرّكاتنا الباطنيّة والعلنيّة مستوحاة من الإنجيل، ذلك من أجل أن نكتسب الحكمة الحقيقيّة من خلال سماع كلمة الله اللّهُ كما دَعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِل صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين هنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

«مَن أهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلِّصها».

ضع اتكالك كله على الرب، أعطِ اسمك وسجّله في الكنيسة. الجندي يحصى على اللوائح، ويبدأ المصارع مصارعته عندما يلتزم. إنك ستؤدي حساباً عن كل هذا كجندي للمسيح، كمصارع في التقوى، كمواطن للسموات. تثقّف وادرس الدستور الإنجيلي، عفّة النظر، ضبط اللسان، ضبط الأهواء، قهر الجسد، السيطرة على الكبرياء، صفاء الذهن، تلاشي الغضب. إذا كرهوك فاعمل أكثر، إذا هُضِمَتْ حقوقك، لا تقم دعوى، أحبّ إذا أبغضوك، إذا اضطهدوك لا تقاوم، إذا افتروا عليك صلِّ. أمت الخطيئة، اصلب ذاتك مع المسيح، حوِّل كل محبتك للسيد.

كل هذا شائك؟ وأية سعادة سهلة؟ مَن رفع نُصباً تذكارياً وهو نائم؟ مَن في الرخاوة وعلى سحر الناي كُلِّل لنشاطه؟ لا أحد يحرز نصراً إن لم يجاهد، الجهود تولّد المجد، والمحن تعدّ الأكاليل. «انه بضيقات كثيرة ينبغي لنا أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤: ٢٢). إني أتخذ لنفسي هذا القول، على أن غبطة الملكوت تعزي في المحن، وأما والخضوع له ولوصاياه.

تدعونا الكنيسة هذا الأسبوع، وفي مسيرتنا نحو الأسبوع العظيم المقدّس والقيامة المجيدة، أن نقدّم سجودًا حقيقيًّا لصليب ربّنا الكريم، لا بأجسادنا فقط بل بأرواحنا أيضًا. فلنكرّمه إذ هو أداة النصر وراية مجد المسيح. تدعونا كنيستنا ألاّ نسمح للتذمّر الخبيث وبخاصّة للتجديف المهلك النفس أن يسيطر علينا. يصبح الصليب عند التذمّر والتجديف ثقيلاً لا يُحتَمَل، فيؤول الأمر بحامله إلى الجحيم. لتخفيف هذا الثقل، أراد ربّنا يسوع المسيح أن يعلو على الصليب طوعًا بالجسد الذي اتّخذه، وأن يحتمل الموت، حتّى يُصالح، بصليبه، البشريّة مع الله، ويُخلِّص، بموته، الإنسان من الموت الأبديّ.

الصليب والألم

جماعاتٌ كثيرة تتّهم المسيحيّين بأنّهم يمجّدون الألم ويعبدون آلة الألم والعذاب والإعدام، قاصدين بكلامهم الصليب الكريم المقدّس. لكنّنا، نحن المسيحيّين، نعتبر أنّ الصليب هو سلاحنا ضدّ الشرّير وقواه ومكائده، وهو الطريق نحو الملكوت ونحو المسيح نفسه: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم، ويتبعني» (لو ٩: ٢٣). كثيرون يربطون الصليب بالألم والموت، لكنّ كنيستنا المقدّسة، القياميّة بجوهرها، تربط الصليب بالقيامة والحياة الأبديّة.

نرتّل في عيد رفع الصليب الكريم (١٤ أيلول): «هلمّوا أيّها المؤمنون، نسجد للعود الصانع الحياة، الذي لمّا بسط عليه المسيح ملك المجد يديه طوعًا، رَفَعَنا إلى السعادة الأولى، نحن الذين لمّا سبانا العدوّ قديمًا بواسطة اللّذّة جَعَلَنا مطرودين من الله. هلمّوا أيّها المؤمنون نسجد للعود الذي به أُهِّلنا أن نسحق رؤوس الأعداء غير المنظورين، هلمّوا يا قبائل الأمم جميعًا نكرِّم بالتسابيح صليب الربّ هاتفين: السلام عليك أيّها الصليب، يا كمال نجاة آدم الساقط...». يختصر كلام هذه القطعة مفهومنا للصليب المجيد: فهو صانع للحياة وليس مميتًا، وهو جالب للسعادة لا التعاسة، كما أنّه صالَحَنا مع الله بَعد أن طُردنا من الفردوس القديم، إضافةً إلى أنّه سلاحنا ضدّ الأعداء غير المنظورين، أي الشياطين.

مؤمنون كُثُر، عندما يتألّمون، يقولون إنّ الله منحهم صليبًا، كما يقولون أيضًا إنّ صليب فلان ثقيل وصليب فلان خفيف، وهم إنّما يعنون بذلك أنّ الله جعل فلانًا يتألّم وحمّله صليبًا ليوجعه. إنّ الله لا يتسبّب بألم أحدٍ أو أذيّته، إنّما يسمح بأن يمرّ أشخاصٌ في امتحان إيمان، كما فعل مع إبراهيم قديمًا عندما طلب منه أن يقدّم ابنه ذبيحة (لا نقول «الله يجرِّب الأشخاص» لأنّ صفة «المُجرِّب» هي للشيطان). طبعًا، لم يُرِد الله بأيّ شكلٍ من الأشكال أن يطلب ذبيحةً بشريّة من إبراهيم. الله يمتحننا بأكثر أمر يرانا متعلّقين به، من دون أنْ تكون لديه النيّة في إيذائنا، بل يشاء تعليمنا أنّ هدفنا الحقيقيّ يجب أن يكون العودة إليه حتّى

ولو كان على حساب أمور نعشقها ونتعلّق بها. أليس هذا ما فعله الربّ يسوع مع الغنيّ الذي طلب منه أن يبيع كلّ ممتلكاته ويتبعه؟ فلاحظ أنّ الغنيّ حزن كونه كان متعلّقًا بأمواله فكان جواب الربّ: «مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله» (مر ١٠: ٢٥).

تعلّمنا كنيستنا المقدّسة أن نقبل الألم (الصليب بمفهومنا البشريّ) بفرح، وأن نعتبره بركةً لا لعنة، ومدرسةً للإيمان لا سببًا للكفر وإطلاق الأحكام جزافًا على الله. مَن منّا لا يعتبر أنّ الظلم تجاهه صليب؟ أو أنّ جُرحَ كرامته صليب؟ يقول المغبوط الذّكر، الأرشمندريت سيميون كرايوبولُس، أحد آباء كنيستنا المقدّسة المعاصرين في كتابه «هل تتألّم؟ الألم هو بَرَكة»: «الله وحده يعلم ما على كلّ شخص المرور به. ليس على الإنسان أن يتحضّر فقط لهذا الأمر، بل أيضًا أن يتطلّع إليه بفرح. هذا هو مجدُنا. الصليب هو مجد المسيح. على مثال ذلك، أيّ معاناة وظلم وألم من أجل محبّة المسيح هي مجدٌ لشعب الله. عندما تُعامَل بظلم تُعاني. ليس من الضروريّ أن تُضرَب، لكن عندما تتأذّى مع الوقت فإنّ نفسك تُدرك الألم. إذا ضُربتَ جسديًّا، من الممكن أن يكون الألم الناتج عن ذلك أقلّ بكثير من ألم القلب أو النفس الذي قد تختبره. إذًا، تطلّع إلى الظّلم ضدّك بفرح. أُشكر الله، لأنّ النفس تتمجّد بهذه الطريقة».

أمّا من ناحية المرض وآلامه، فكلّنا يعتبره الصليب الأكبر، ونحن في زمن تكثر فيه الأمراض الصعبة لأسباب متعدّدة الله ليس واحدًا منها. إلهُنا إله حياة وفرح ومحبّة، ليس إله أمراض وأوبئة وقتل وموت، لذلك تعلّمنا كنيستنا أنّه علينا، حتّى ولو ابتُلينا بأيّ نوع من الأمراض والآلام، أن نتقبّل حالتنا بفرحٍ على أنّها فرصة للتوبة والرّجوع إلى الله. يقول المغبوط الذكر الأرشمندريت سيميون في هذا الصدد: «الألم هو نوع آخر من الحراثة. إنّه يخترق كيانك حارثًا بلا رحمة، على الرغم من تلوّيك وجعًا. لا يسألك الألم عن رأيك، فتشعر بوجعٍ لا حدّ له. هنا يكمن السرّ. عندما يحين وقت الأنين والتأوّه، إفعل ذلك من دون أن تحمل ضغينة تجاه الله. قل التالي: فليبارك الربّ هذا الألم... دع تأوّهك يكون وكأنّك تقول: يا ربّي، أنتَ تعلم أنّني في ألمٍ مهول. تعلم أنّني أودّ لو يتوقّف. لكنْ لتكن مشيئتك، لا مشيئتي. الله يعلم كلّ شيء. يضمّك بذراعيه ويعتني بك ثمّ يقودك بطريقة تجلب فيها النعمةُ (الألم) نعمةً (بركة) أعظم، وفي النهاية تتقدّم ولا تهلك».

في النهاية، دعونا نتقبّل كل الأحوال التي تطرأ في حياتنا، حتّى المُحزنة منها، على أنّها بركة من الربّ ونعمةٌ فوق نعمة، ومدرسة للتواضع والإنسحاق، فيؤول صليبنا إلى قيامة، وندخل فرحَ الربّ مع الأبرار والصدّيقين.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei
أو
www.quartos.org.lb

عذاب وحزن الجحيم فهما عقاب الخطيئة.

... ليس من السهل الحفاظ على الكنز. لديك معاونون إن شئت: الصلاة خلال الليل، الصوم الذي يحفظ البيت، وترنيم المزامير الذي يقود النفس. إجعل منها رفقاءك، لتسهر معك الليل تصون خيراتك الثمينة. قل لي أيهما أفضل، أن نكون أغنياء وأن نُشغف في حفظ خيراتنا الثمينة، أو أن لا تملك أيدينا رهناً لما نحتفظ به؟ لا أحد يتخلّى عن خيراته خوفاً من أن يُحرم منها، كما انه لا شيء يعوّض الأشياء الإنسانية إذا فكّرنا بإمكانية خسارة ما نعمل في سبيله. في الواقع، القحط يهدّد الزراعة، والغرق التجارة، والترمّل الزواج، والفشل التربية، ومع هذا نضع أيدينا في العجين، متنشطين بأحلى الآمال، نودع نهاية آمالنا الله الذي يرعى أمورنا. أنت تعطي في كلامك أهمية كبرى للقداسة، وفي الواقع تقضي أيامك في ما يؤول إلى الحكم عليك. حذار أن يأتي يوم تندم فيه على أعمالك الهدّامة حيث لا يعود ينفع الندم.

القديس باسيليوس الكبير